الفيلسوف . قد اجتمع فيها كل ألم الشاعر وآماله . وكل ما اعتقد ويعتقد من قواعد فى الشعر والفن - وهذه الرواية هى أدنى الى القصيدة الشعرية منها الى القصة التى تعتمد على الألوان الخارجية . وهى قصيدة طويلة عميقة الخيال ، بعيدة الغور ، تصل الى أعماق الباطن والنفس ، يظهر فيها نوفاليس الشاعر وراء الشخصية المبهمة التى تلبس بها . تلك الشخصية التى تستفزها الاحلام وتهيجها الآمال وتفهم الجمال الكلى الذى لايموت بموت الملاح .

روح وادعة تنظر الى الوجود بعين الأمل والرضا ، يريد صاحبها ان يحمل شقاءه كصديق ، ولا يريد أن يوليه مملكة قلبه وعقله كالغالب يعيث فيها فساداً . لأنه يرى نفسه مرتاحة بهذا النزر من الشقاء قال عنه (فردريك شيلجل) « وكان لايجد أثراً للسوء والشر فى الوجود ، وكان يعتقد أن كل شىء يستعد ليدخل فى حياة ذهبية » ونوفاليس يقول عن نفسه « ان الطبيعة حتى هذه النعمة ، نعمة النظر الى سمائها ولألائها بعين المرح والسرور » وهذه الكلمة تبدى لنا احساس (نوفاليس) العميق فى الطبيعة ، وتفهمه لدقائق أشيائها . هو احساس لاتغلب عليه العاطفة الهوجاء . ولا تصدمه الحقيقة السائدة فى الوجود ، وكيف نريد ان نقيد أو نحدد إحساسه وهو الذى آمن بالاحلام ليستطيع أن يكيف الطبيعة كما تبتغى احلامه . وهو يبغى أن يحيا فى الطبيعة كما يريد لا كما تريد هى . . ! ولكن هذا المرح لم يكن مرحا هائجا ثائراً ، بل كان مرحا ساكنا هادئا ، يتمشى بين ثناياه ألم عميق إذا تعمق الناقد فى باطنه تبينت له تلك السحابة القاتمة ، وتلك الظلة الفاحمة . وقد تكون سحابة قاتمة لكنها موشاة بألوان الشفق الوردى : يبدوا حمرارها للعين ويتوارى سوادها . وقد تكون ظلة فاحمة ولكن أشعة قمر مستور يغمرها بشعاع باهت ينيرها ولكن لايظهرها .

هذا هو (نوفاليس) الذى غادر الوجود ولما يبلغ التاسعة والعشرين ، قد غالى قوم فى تقديسه حتى نزهه (بنى المدرسة الرومانتيكية) . وغالى قوم فى بخسهم قيمته ، فقالوا ان فنه هو مجموعة أحلام صبيانية . والناقد الحق هو الذى لا يغالى فى الأمرين . ينظر الى الآخرين فيدرك أنهم أرادوا لو انصبغ عمر الشاعر لكان منه ذلك النبى المزعوم . وينظر الى الآخرين فيدرك أن مقاييسهم كانت قاسية ، تريد من الشعر مالا يريد الشعر من نفسه ، فيقف بينهما موقفا وسطا ويقول : كان نوفاليس شاعراً تلاه ناس ، وسوف يتلوه ناس ، لانه كان شاعر النفس والعاطفة العميقة والاحلام والرموز ؟

الى الاستاذ زكى نجيب محمود

آخذ الرسالة بيدى ، وأفتح عينى على أسماء كتابها ، فأفرح كلما وقعت على اسم قام بينى وبينه شىء من التفاهم الروحى ، وهذا التفاهم هو الذى يدفعنى — فى كل رسالة — الى النظر لهذا الاسم ، والتحرى عنه بين الأسماء . فاذا لم أجده غاب على نفسى شىء من المرارة ، لأنى أحببت هذا الاسم وأحب أن أراه فى كل رسالة .

بين هذه الأسماء — اسم الاستاذ زكى نجيب محمود — الذى خص الرسالة بصفحات لامعة من تاريخ الفلسفة الفكرية ، وقرب كثيرا من ابعادها ، وحلل كثيراً من مذاهب أصحابها . وهذه المقالات سدت فراغا كبيراً فى الأدب العربى ، وعرفت أهله بأقطاب الفلسفة الغربية بصور واضحة بليغة ، هى أوجز ما تكون سطوراً ، وأملأ ماتكون أفكاراً .

هذا الاسم أطرب له ، وأهفو اليه كلما وقعت عليه ، ويستولى على شىء من الحيرة اذا لم أجده بين الأسماء . لأنه أصبح عزيزاً على ، لا أريد ان يغيب عنى ، مهما كانت عوامل هذا الغياب .

انى أعجبت — بمقالاته الفلسفية — كما أعجب بها كثيرون ، وقد رأيت ان هذه المقالات قد تكون اكثر فائدة لو كان يربط مابينها وحدة متماسكة متراصة ، وأريد من وراء ذلك ان يدرس الكاتب العصور الفلسفية دراسة تنتظم فيها دراسة الاشخاص والافكار والايام والعصور — ادبية كانت او فلسفية — لها تأثيرها فى الاشخاص كما لها تأثيرها فى المذاهب ، وخير حل لهذه النقطة — والامر امر الكاتب — ان يبدأ بدرس الحركة الفلسفية من بدء نهضتها وثورتها ويأتى على أصحابها ويصف تأثيرهم وتأثير مذاهبهم فى التطور الفكرى ، مع شىء من المقارنة بين المذاهب المتباينة ، ومثل هذا الدرس يجعل — للمقالات — وحدة يفتقر اليها من ود ان يقف وقوفاً تاماً على تطور الحركة الفلسفية عند الغربيين ، وهذه الوحدة هى لازمة — فى اعتقادى — وقد تكون ألزم من الوحدة فى الادب لان الادب الحاضر يستطيع ان يجيا اذا قطع كل اواصره مع الادب القديم ، ولكن الفلسفة — ومسائلها الحاضرة هى ذات مسائلها الماضية — يخطىء من يريد ان يتفهم تطورها الحديث قبل ان يقف على تطورها القديم .